

بوتني الحكمة من بقاء ومن بقاء الحكمة  
فقد أوتي خيراً كثيراً وما يدرك  
الأولو الألباب

# المعراج

١٣١٥

في شهر ربيع الثاني يستعملون القول  
فيهموزنا حصنه أولئك الذين هداهم الله  
وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق  
مصر في يوم الاحد ٢١ محرم الحرام سنة ٣١٨ - ٢٠ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠

الترك والعرب

( ١ )

قام في الاسلام دول وممالك كثيرة أعظمها شأنًا، وأطولها زمانًا، وأشدّها  
بأسًا، وأوسعها سلطانًا دولتنا العرب بأقسامها والترك. وانا نرى الكتاب  
يخبطون في التفاضل بينهم ما خبط عشواء وقد غلب بعضهم في النيل من العرب  
حتى زعم أنهم لا قابلية فيهم للتمدن، ولا قدرة لهم على سياسة الممالك، وإقامة  
دعائم العمران. وأفرط هؤلاء في مدح الترك حتى كادوا يرفعونهم عن رتبة  
البشرية الى مصاف الملائكة المقربين، زاعمين أنهم ما وجدوا الا ليكونوا  
ملوكا حاكمين، أو آلهة معبودين. ومن الناس من تخامل على الترك حتى  
سلبوهم من ايامهم وفضائلهم وزعموا أنهم خلقوا افتنة للناس، وبلاء على الانسانية.  
فريق يتزلف فيعصيه التزلف وفريق يتعسف فيضله التعسف. وانا انكتب  
نبذة في هذا المقام مما علمه علينا التاريخ الصادق، ويشهده الوجود الثابت،  
( وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدانا كم أجمعين )

نكتب لبيان الحقيقة. والعلم الصحيح لا يكون الا نافعا، كما أن الجهل

بمقتضى الأمور لا يكون إلا ضاراً. فلا يمكن أن ينكر علينا كتابتنا هذا إلا من يفضل الجهل على العلم، والظلمة على النور، والضلالة على الهداية. ومن منافع العلم بهذه الحقيقة أن يعرف العرب الكرام، أنهم فوق ما يقول فيهم أعداؤهم اللثام فينشطو الدفع البار الذي يرموز به، ويجتهدوا في استرجاع مجد سلفهم الصالح، ومنافخ آباءهم الأولين. وأن يعرف الترك للعرب فضلهم كما يعرف العرب لهم فضلهم، ويأخذ كل منهما بيد أخيه ويتعاونوا على الوحدة الإسلامية معتقدين أن الإسلام ساوى بينهما في الحقوق، وأخى بينهما في الدين. وأنه ليس وراء هذا إلا التفاضل بالأعمال، فيجب أن يكون عمل كل منهما متما العمل الآخر، وإن امتياز جنس على جنس كما كان سبب الضعف فيما مضى يكون سبب الموت والبقاء فيما يأتي من الزمن.

وصف مؤرخ الترك العالم الشهير جودت باشا الدولة العثمانية في كلامه على تأسيسها بقوله «أنها كانت جامعة المديانة والشجاعة العربية، متصفة بالثبات الذي هو من أخلاق الترك فلذلك كانت على صغر هاني أول نشأتها مستعدة لأن تكون كهفاً وماجاً للملة الإسلامية». وما قال هذا المحقق إلا حقاً. فإن الترك نجحوا بهذه الصفات الثلاث: العظمى منها أخذوها كغيرهم عن العرب وهي الدين، والثانية شبههم فيها بالعرب والمشبه به يكون أرقى وأقوى من المشبه في الصفة التي بها المشابهة، وأما الثالثة فهي مما امتاز به الترك على كثير من الشعوب والاجناس وهي أحد الأسباب في ثبات ملكهم وطول زمن دولتهم (أعزها الله وزادها ثباتاً وبقاءً بفضلها وكرمها).

ونتم سببان آخران جديران بالالتفات (أحدهما) أن الترك طبعوا كجميع الشرقيين ماعدا العرب على الخضوع الاعمى لروؤسائهم، وتقديس ملوكهم

وأمراتهم. وإنما حصل التنازع على السلطة في العرب المبدأ الديمقراطي الذي جاء به الإسلام وكان العرب أشد الناس استعداداً له ولكنهم مارعوه حق رعايته بل تقلص ظله بعد الرأشدين رويداً رويداً انضمف الدين في النفوس كما سنبينه بعد.

و(ثانيهما) أن حالة البلاد الإسلامية التي نشأت فيها الدولة وفتوحاتها في جهة أوربادون بلاد المسلمين وحالة المسلمين في البلاد المجاورة لها كانت تقتضي نجاح هذه الدولة وثباتها: ذلك أن الاختلافات السابقة والفتن والحروب الداخلية، واغارة جنكيز خان وأولاده وتدويجهم المسلمين وتنكيلهم بهم شر تنكيل - كل ذلك كان مريباً للامة الإسلامية على اختلاف شعوبها ومدآ لها بل ومالها إلى الخضوع والسكينة. فهذا هو المانع للشعوب الإسلامية من الكسر على الشعب التركي وتدويجهم وإزالة سلطته وما كان أحد ليقوى في تلك الأزمنة على المسلمين إلا المسلمون الذين كان بأسهم بينهم شديداً، وما كانت اغارة تيمورلنك على البلاد الإسلامية في أوائل نشأة هذه الدولة إلا زلزالاً عنيفاً صدمت البلاد المجاورة لها وما أضرب بلادها هي إلا قليلاً. ما أضرب بالدولة بل رباها فإن السلطان بايزيد الأول الذي أسره تيمورلنك كان منغمساً في الترف مستترسلاً في اللذات وقد خانه عسكره فانضوى قسم كبير منه إلى تيمورلنك على أنه كان لا يزيد عن تسعين ألف فارس وكان عسكر تيمور ٣٨٠ ألفاً من التتر الأشداء الفلاظ. مات السلطان بايزيد بعد ثمانية أشهر من أسره (سنة ٨٠٥هـ) فتنازع أولاده على الملك فولى تيمورلنك على البلاد العثمانية أصراء قرمان والسلاجقة ورحل عنها إلى الهند بعد ماعاث وسلب ونهب، وظل سرير السلطنة إحدى عشرة سنة بغير سلطان فضمفت الدولة بذلك ولكن لم يكن في جوارها دبر قوي تغتم الفرصة فتجهز عليها ولذلك عادت إليها

قوتها سريعا على يد السلطان محمد جلبي بن السلطان بايزيد الاول الذي كان  
أول من أحدث الحساكر البحرية في الدولة وارسال الصرة السلطانية الى  
الحرمين الشريفين

انما الترك أمة حربية وما كانوا أشد بأسا من العرب وأين فتوحاتهم  
من فتوحات العرب مع أن مدتهم أطول من مدة دول العرب كلها البلاد  
التي فتحها العرب هي التي نما فيها الاسلام وثبتت أصوله، وعلت فروعه  
ومعظم البلاد التي فتحها الترك كانت وبالا على الاسلام والمسلمين ولا تزال  
تندهم بالبلاء المبين. لا أقول إن تلك الفتوحات مما يعاب بها الترك ويذمون  
ولكنني أقول إن الفضل الأكبر في الفتوحات الاسلامية للعرب وان الدين  
انتشر بالعرب واءثر بهم فأساسهم أقوى اساس، ونبراسهم أضوء نبراس،  
وهم خير أمة أخرجت للناس. ولا أنكر أن للترك فضلا، وذكاء ونبلا. ولا  
أحب أن أطيل القول في المقابلة بالفتوحات وما هو أكثر منها فائدة للاسلام  
والمسلمين فكل من له شمة من معرفة التاريخ الماضي والحاضر يعرف أن  
معظم البلاد التي تمكن فيها الاسلام هي مما فتحه العرب وانتشر الدين فيه  
بواسطة العرب. وسنأتي في مقالة أخرى على المقابلة بين الجنسين في العلوم  
والفنون والزراعة والتجارة وسائر أمور المدنية والعمران

﴿ الدين والدنيا والآخرة ﴾

( ٢ )

أثبتنا في المقالتين السابقتين أن العقل والنقل والفطرة البشرية، والاديان  
السمائية متفقة كلها على أن الله تعالى أنشأ الانسان من الارض واستعمره